ملخص الاستشراق والدراسات الإسلامية – أبو عبد المحسن ١٤٣٧ هـ

مدخل :

- الاستشراقُ ظاهرةٌ قديمة، كان من بواعثها ما أحدثه العداء الصليبي، وما سبق الحروب الصليبية من الفتوح الإسلامية.
- دراسة الاستشراق للإسلام تاريخًا وتشريعًا، غير مخلصة، ولا نزيهة، ولا علمية موضوعية، وإنما كانت رغبة في التشفي والانتقام من الإسلام والقرآن والسنة؛ ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

الاستشراق لغة : مشتقة من مادة "شرق"، وهو مصطلح يدل على الاتجاه نحو الشرق، **واصطلاحًا** : نشاط فكري وممارسات حركية تتناول الاهتمام بالشرق المسلم دراسة وتمحيصا وإنصافا حينا وتشويها أحيانا كثيرة، **وعرّفه الدكتور عبد القاهر العاني** : **بقوله** : "اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة ".

أو هو : دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ...

وخلاصة القول : أن الاستشراق اتجاه فكري يعمد إلى دراسة علوم الشرق المسلم وقد عني بتشويه صورة الإسلام، وهو ظاهرة قديمة كان من بواعثها العداء الذي أحدثه العداء الصليبي .

شمس العرب تستطع على الغرب في عصوره المظلمة.

سؤال : لماذا وصفت العصور الوسطى بالنسبة لأوروبا بالعصور المظلمة ؟

الجواب : لأن أوروبا كانت تعيش في تلك العصور حياة غوغائية فوضوية.

فضل الحضارة الإسلامية والعربية على أوربا : قلّة من المستشرقين اعترفوا بفضل العلماء العرب، مثل : المستشرقة المنصفة (**سيجريد هونكه**) مؤلفة كتاب (**شمس العرب تسطع على الغرب**)؛ تقول : "لقد شاء الله أن يظهر من الأوربيين من ينادي بالحقيقة والإنصاف ولا يبخس العرب حقهم، في أنهم حملوا رسالة عالمية..."

أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية : وهذا الدَّيْن الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جداً؛ فالعرب أصحاب نهضة علمية، فاقت كثيراً مما تركه اليونان أو الرومان، ثم تنكر أوروبا على العرب الاعتراف بهذا الفضل؛ مما أعطى صورة مغلوطة مشوهة عن الحضارة العربية.

شهادة المستشرق (**جورج سارتون**) **على فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا** : يقول (**عبد القهار العاني**) في كتابه (**الاستشراق والدراسات الإسلامية**) عن شهادة المستشرق جورج سارتون : لقد ألقى **سارتون** نورا ساطعا على هذه الحِقبة من التطور البشري في كتابه (**مقدمة لتاريخ العلم**) من تفتح الأذهان ونمو الأفكار ... وذكر النتاج العقلي للحضارة الإسلامية في الطليعة الأولى، وذكر العديد من علماء العرب وفلاسفة الإسلام، **ويقول** : "ولم تكد تمضي مائة سنة على خروج العرب من صحرائهم، أي في القرن الثامن للميلاد حتى أصبح العراق مركزا لأعظم نشاط فكري في ذلك العصر وقد توقّد المجتمع العربي في هذه الحقبة بالقوة والعزم والعلم والمعرفة ..، أما النصف الثاني من

هذا القرن فهو عصر [جابر بن حيان]"، ويقول : "إن الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فالفارابي أعظم الفلاسفة، والمسعودي أعظم الجغرافيين، والطبري أعظم المؤرخين".

القرن الحادي عشر وفجر الحركة الفكرية : يقول **العاني** : "اشتدت الحركة الفكرية في القرن الحادي عشر وبلغت ذروتها فيه، والانتقال من الحضارات الأخرى إلى المدنية العربية الإسلامية يشبه الانتقال من الظل إلى الشمس المشرقة"، وصدق المستشرق (**برنال**) حيث يقول : "إن الفضل أعظم الفضل للعلماء العرب في الحفاظ على هذا التراث، وإن العلماء العرب قد تفوقوا على الإغريق، وكانت هذه ميزة تفرد بها العلم العربي".

من طرائق نقل العلم من العالم الإسلامي إلى الغرب في العصور الوسطى : تصدرت **الأندلس** طرائق نقل العلوم من العالم الإسلامي إلى الغرب، وعن طريقها انتشرت الثقافة الإسلامية في أوروبا.

توجُّه علماء أوروبا للتعلم في مدارس العرب وترجمة العلوم : حث كثير من علماء أوروبا طلابهم للتوجه إلى مدارس العرب للاستفادة من علومهم، وكان من أقدم المترجمين (**أديلارد أوف بان**) حيث تعلم العربية خلال زيارته لصقلية وسوريا وكان شديد الإعجاب بها فاكتسب منها اتجاها عقليا، وتعلّم (**مايكل سكوت**) في إسبانيا ثم دخل في خدمة (فردريك الثاني) ملك صقلية وترجم العلوم والفلسفة من العربية وكان أحد مؤسسي **فلسفة ابن رشد** اللاتينية، كما التحق بهم (**روجو باكون**) وأشار على طلبته بهجر مدارس أوروبا والالتحاق بمدارس العرب.

خلاصة ما سبق : من أهم الكتب في فضل العرب على الغرب (**مقدمة لتاريخ العلم**) للمستشرق المنصف (**جورج سارتون**)، ومن مراكز الإشعاع العلمي والفكري في القرن ٨م (**العراق**) ، ففيه (**جابر بن حيان**)، ومن أهم طرائق نقل العلم إلى الغرب (**الأندلس**).

متى ظهرت كلمة (الاستشراق) كمسمى ؟ لا يوجد ما يشير إلى هذه الكلمة في العصور المتقدمة، وإنما يبدو أنها ظهرت في زمن متأخر؛كما يقول الدكتور **عمر فرّوخ** : "لم تكن منتشرة في تلك الفترة، إنما عرفت في اللّغة الإنجليزية عام ١٨١١م، وفي اللغة الفرنسية عام ١٨٣٠م، كما أنّها بدأت في الظهور في اللغة الإنجليزية عام ١٧٧٩م".

إنَّ النشاط الاستشراقي والترجمة للعلوم العربية والإسلامية : سبق المصطلح (استشراق).

تاريخ نشأة الاستشراق (كفكر ونشاط) : اختلف الباحثون في ذلك؛ لأنها لم تبدأ بصورة منظمة أو بتخطيط سابق، بل كانت في البداية جهوداً فردية وعفويّة؛ **فآراء الباحثين في تحديد تاريخ نشأة الاستشراق كالتالي** :

الرأي الأول : القرن **العاشر** الميلادي، وأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية والاهتمام بحركة الترجمة وكان من أبرزهم في ذلك الفرنسي (**جربت**)، وممن ذهب إلى هذا الرأي الكاتب (**نجيب العقيقي**).

الرأي الثاني : القرن **الثامن** الميلادي في الأندلس؛ ويستدل على دخول الغرب إلى الأندلس في أوائل القرن التاسع.

الرأي الثالث : أواخر القرن **السابع** الميلادي، ويستندون على كتابات بعض النصارى أمثال يوحنا الدمشقي.

الرأي الرابع : يحدد المستشرق الألماني (**رودي بارت**) القرن **الثاني عشر** الميلادي بداية للاستشراق، مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم، بتوصية من (**بطرس**).

الرأي الخامس : للدكتور محمد البهي؛ يقول : في القرن **الثالث عشر** الميلادي ، على الرغم من اعترافه بإمكانية

وجود محاولات فردية قبل ذلك، ويؤكد على أنه انتشر بجدية بعد عصر الإصلاح الديني الذي قام به (**مارتن لوثر**).

ويكاد يجمع المؤرخون على : أن الاستشراق قد انتشر بصورة جدية بعد الإصلاح الديني الذي قام به (مارتن لوثر)، وهذا الرأي نراه جامعا وهو الأقرب للصواب.

عصر الازدهار الحقيقي للاستشراق : في القرنين **١٩** و **٢٠** الميلادي؛ إذ ظهرت الجمعيات الاستشراقية،كما شهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين إذ عقد أول مؤتمر دولي عام (١٨٧٣م).

آثار الاستشراق في العالم الإسلامي.

قدّم الاستشراق خدمات كبيرة للغرب النصراني، حيث أثر تأثيرات سلبية في العالم الإسلامي في جميع المجالات، **وفيما يأتي أبرز هذه الآثار** :

الآثار العقدية والتشريعية : ظهور جيل من المفكرين المسلمين ممن اتصل بالمستشرقين، يهاجمون دينهم ويقفون منه موقف الخجل، مع الانبهار بالحضارة الغربية؛ ونتيجة لذلك، كانت لدى هذه الفئة القابلية للارتماء في أحضان الفكر الغربي، بل والانكباب على أشكال حياتهم باسم : التجديد والتقدمية والعصرية والحضارة.

ومما دعت إليه هذه المدرسة الفكريةُ المتأثرةُ بالاستشراق :

١. **ظهور دعوى الإصلاح والتجديد، والأخذ بالنموذج الغربي في محاربته للكنيسة** : يقول الدكتور العاني : "بعض المسلمين أخذ يردد كلمات الرجعية والتقدمية والتطور والتجديد وانتشر الإلحاد والانهيار الأخلاقي ..."، وينقل إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) عن أحد المستشرقين قوله : "الإسلام مذهب تعبدي، وهو عدو الحضارة، ..."، ويبيّن (العاني) أثر الاستشراق على العقيدة قائلا : "أدى الاستشراق إلى إضعاف الروح الدينية والأسس العقدية ...".

٢. **الادعاء بأن التمسك بالإسلام هو سببُ تأخر المسلمين** : وأنهم لن يتقدموا حتى يتحرروا من قيود الدين.

٣. **انتشار الفكر العلماني** : الذي يدعوا إلى جعل الدين مجرد تعاليم أخلاقية لا إلزام فيها.

٤. **دعوى عدم صلاحية الشريعة للتطبيق** : يقول العاني :"أظهر الإسلام تقاعسا في التعاطف مع الخبرات الإنسانية ".

٥. **الدعوة إلى محاربة الموروث** : يقول العاني : "حاول الاستشراق تحريف الأسس الإسلامية بأسماء وشعارات براقة مثل بدع التجديد".

الآثار الاجتماعية للاستشراق : اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية ومعرفتها؛ حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح، وقد أحدث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية،**كما اهتم الاستشراق** : بتشويه مكانة المرأة في الإسلام.

الآثار السياسية والاقتصادية : تم نشر فكرة الديموقراطية الغربية على أنها أفضل نظام، من خلال انتقاد النظام السياسي الإسلامي، **أما في المجال الاقتصادي** : فسعوا إلى نشر الفكر الاقتصادي الاشتراكي والرأسمالي بمحاربة النظام الإسلامي، وكما يقول الدكتور محمد خليفة : "إنّ المستشرقين قاموا بإعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والشيوعية كنوع من التأصيل للنظريتين..."، وعن أثر الاستشراق على السياسية

والاقتصاد يقول الدكتور العاني : "لقد تورط الاستشراق في كل التطورات التاريخية ... فالاستشراق هو الذي بسط للغزاة أسباب السيطرة ونظم المعلومات..."

الآثار الثقافية والفكرية للاستشراق : بعد أن كان القرآن الكريم والسنّة المطهرة والتراث هي المصدر لجميع مجالات الحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة.

وقد أنشأ الغرب العديد من المدارس؛ فمن المنابر التي استطاع الغرب أن ينشر من خلالها الثقافة والفكر الغربيين وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ونشر بأشكاله المتعددة، يقول إدوارد سعيد : "وتطغي الآراء المعاصرة للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي فهو يصور العرب مثلا علي أنهم راكبي جمال إرهابيون ...".

ومن أخطر الآثار الثقافية والفكرية للاستشراق على العالم الإسلامي ما يأتي :

١. **التبعية الثقافية للغرب** : يقول العاني : "من أخطر النتائج التي أعقبت الغزو العسكري ذلك الغزو الصليبي الجديد؛ المتمثل في التبعية الثقافية التي بدأت بالإعجاب بالمعالم المدنية والمبتكرات الصناعية الغربية ...".
٢. **التأثير على التعليم** : وذلك بالتدخل في صياغة المناهج والمقررات الدراسية للشعوب المسلمة.
٣. **محاصرة التعليم الديني في المدارس والجامعات الإسلامية بالتوجه العلماني ثقافيا وأخلاقيا** : وذلك عبر مَن يتحدثون بلغتنا ويعيشون بيننا، من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

أهداف الاستشراق.

أولاً: الهدف الديني (حرب الإسلام) : يقول الدكتور العاني موجزا للهدف الديني للاستشراق وأنه يرتكز في **تشويه صورة الإسلام على ما يلي** : (اتهام الإسلام بأنه العداوة والجهل – القضاء على وحدة المسلمين – التشكيك في الإسلام وفكره – تشويه صورة الإسلام في نفوس الغربيين لصدهم عن اعتناق الإسلام).

ثانياً: الهدف الاقتصادي : استغل المستشرقون ثروات الشعوب الإسلامية، وذلك بالدراسات التي قاموا بها، حيث ظهرت الجمعيات الكشفية الجغرافية في القرنين **١٨و١٩** م، وكذلك من خلال الحصول على عقود عمل للشركات.

ثالثا: الهدف الاستعماري والسياسي : يظهر من خلال العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار ، **وتأتي أهم الأهداف الاستعمارية والسياسية فيما يلي** : (تهيئة **العقل** المسلم لتقبل ذلك – تهيئة تلاميذ [**عملاء**] للاستعمار).

رابعاً : الهدف العلمي : وهي على توجهين رئيسين : (أهداف منصفة – أهداف مغرضة).

- ✓ **الأهداف المنصفة** : وتعتمد على البحث والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة منصفة ، وهم قليل ، ومع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، ومن أمثلتهم "**توماس أرنولد**" حين أنصف المسلمين في كتابه "**الدعوة إلى الإسلام**" فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، وكذلك المستشرق الفرنسي "**دينيه**" الذي تعرض للبحث الخالص لوجه الحق فعاش في الجزائر وأعلن إسلامه وتسمى باسم "**ناصر الدين دينيه**" وقد ألف كتابا عن سيرة الرسول ﷺ وله كتاب (**أشعة خاصة بنور الإسلام**) يبين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله.
- ✓ **الأهداف المغرضة** : وهي تركز على ما يلي : (دس السم في العسل عند تمحيصهم لكتب التراث –

التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي – التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ – التشكيك في صحة الحديث – التشكيك في الفقه الإسلامي، والزعم بأنه مستمد من القانون الروماني).

العلاقة بين الاستشراق والتنصير.

الاستشراق والتنصير وجهان لعملة واحدة : فإن العلاقة بين الاستشراق والتنصير مسلّم بها عند أغلب المستشرقين، والصلة بينهما لا تزال قائمة وستظل، مهما جرت المحاولات لفكها، **وفيما يلي نعرض للشواهد التي تدل على ذلك** :

١. **كان أوائل المستشرقين من الرهبان والقساوسة** : فمنهم على سبيل المثال (**سلفستر الثاني**) أو (**جربرت**)، وكذا (**بطرس**) الملقب بـ "المحترم"، يقول (**فوك**) في كتابه (**تاريخ حركة الاستشراق**) : "كثيرٌ من المستشرقين كان همهم إرساءَ نهضة الكنيسة".

٢. **التنصير اعتمد على الاستشراق في أخذ معلومات عن المجتمعات المراد تنصيرها** : والمستشرق يدرس علوم المسلمين، ويقوم باستخراج الشبهات، والمنصّر يعمل على بث الشبهات ونشرها.

٣. **التنصير أحد الأهداف التي يسعى المستشرقون إلى تحقيقها في دراستهم للإسلام** : فالمستشرقون والمنصرون عملهم واحد، فإذا كان الاستشراقُ اتخذ صورة البحث والطابع الأكاديمي، فإن التنصير قد سلك أسلوب المساعدات الطبية والغذائية وإنشاء المستشفيات...، ويقول المستشرق (**رودي باريت**) : "كان الهدف من هذه الجهود هو التبشير، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام..."، **وكان من المستشرقين الذين تميزوا في مجال التنصير في العالم الإسلامي** : (**الفريد جيوم**)، و (**روبرت سميث**)، و (**هنري لامانس**).

٤. **تداخل الأدوار بين المستشرقين والمنصرين** : إذ كان فئة منهم بدأوا حياتهم في التركيز على الدراسات الاستشراقية ثم استهواهم التنصير، فانصرفوا إليه، **ومن تلك الفئة** : المنصر المستشرق (**صموئيل زويمر**).

علاقة الاستشراق والتنصير بالإسلام علاقة عدائية : وذلك بحماية النصارى الشرقيين من الإسلام، والتأثير على الأرثوذوكس في الشرق واستقطابهم للكنيسة الكاثوليكية في الغرب، يقول (**إدوارد سعيد**) عن هذا التكتل العدائي للإسلام : "وقد تواصل هذا المزيج من الفزع والعداء حتى يومنا هذا".

يربط بين الاستشراق والتنصير الشعور بالفوقية على بقية أمم الأرض : وهذا الشعور قد انطلق من الكنيسة الغربية بتأثير وعاظ الكنائس والقسس والرهبان ، فخلق فيهم حالة نفسية استعلائية ، صبغت العقلية الغربية والفكر الغربي في القرون الوسطى؛ وقد صدق المستشرقون هذه النظرة.!

التنصير اتكأ على الاستشراق في الحصول على المعلومات عن المجتمعات المستهدفة : وخاصة عندما انتقل مفهوم التنصير إلى تشويه الإسلام؛ فكان فرسان هذا التطور في المفهوم هم المستشرقين.

البداية "الرسمية " للاستشراق : قد انطلقت من مجمع فينا الكنسي الذي أوصى بإنشاء عدة كراسي للغات، ومنها اللغة العربية ، والغرض من هذا كان تنصيريا صرفا وكنسيا لا علميا.

استشراء الاستشراق وانتشاره : كان تحت رعاية الكنيسة وبمباركتها عندما ثبت فشل الحروب العسكرية، فاتجهت

الكنيسة الغربية إلى التنصير من خلال الفكر والثقافة والعلم ، فكان التوجه إلى ما نسميه اليوم بالغزو الفكري، يقول إدوارد سعيد : "وقد عبر عن هذه الثمار (لول) حين دعا لارتداد العرب إلى النصرانية من الإسلام، وقبله كان (الإخوة الفرنسيسكان) قد توغلوا في أعماق آسيا يدفعهم حماسهم التنصيري".

العلاقة بين الاستشراق والاستعمار.

وحدة الأهداف بينهما :حيث مهّد المستشرقون للاستعمار، إذ كانوا طلائع الغرب في البلاد الإسلامية، وعملوا على تهيئة نفوس سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوروبي والرضا بولايته، فالاستشراق والاستعمار بمثابة الشيء الواحد؛ يقول أحد الباحثين : "من وحدة الهدف والأطماع انبثقت العلاقة بين الاستشراق والاستعمار منذ بداية الفكرة الصليبية إلى ميلاد الفكرة الصهيونية، التي تسيطر الآن على سياسة الغرب بجميع أشكالها نحو العرب".

خدم الاستشراق الأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية : قدّم المستشرقون معلومات موسعة عن الدول المراد استعمارها، ولقد كان كثير من الموظفين الاستعماريين على دراية بالشرق لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً ، وقد أصدر أحدهم كتابًا بعنوان : (**دليل الخليج : الجغرافي والتاريخي**).

تبادلُ الأدوار والمصالح المشتركة بين الاستشراق والاستعمار: فإذا كان الاستشراق يقدم الخلفية الفكرية للمستعمرين، مع التهيئة لذلك، فإن الحكومات عملت على تهيئة الدعم المادي وتسخير الإمكانيات.

عمل عدد من المستشرقين في خدمة حكوماتهم على أنهم رحالة، أو يقومون بدراسات عملية؛ ومن الأمثلة على ذلك : [اعتمد (**نابليون**) كتابات (**فولفني**) في حملته على مصر] - [عمل (**روسو**) على التمهيد لاستعمار طرابلس] - [ساهم (**إدوارد هنري بالمر**) في تهيئة الاستعمار البريطاني لمصر]، **وهناك من المستشرقين من خدموا الاستعمار بصفة رسمية؛ من أبرزهم** : (**ماكدونالد**) خدم الاستعمار البريطاني للقارة الهندية، وكذلك (**هاملتون جب**) في خدمة الحكومة الإسرائيلية والأمريكية.

تمويل حكومات الغرب لمراكز الدراسات الإستشراقية المعنية بالدراسات الإسلامية وفق مصالحها : وذلك يؤكد ارتباطها بالأهداف السياسية الاستعمارية، وقد مولت الحكومة الأمريكية عدداً منها في العديد من الجامعات الأمريكية، وما زالت تمول بعضها وفقا لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية.

موقف المستشرق غوستاف لوبون من القرآن الكريم.

قال ﷻ : ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا ٱلذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ﴾؛ فالقرآن وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

موقف المستشرق (غوستاف لوبون) من القرآن الكريم : عُرف هذا المستشرق في نظرته للقرآن والإسلام بالإنصاف حينا وبالتخبط أحيانا، يقول العاني : "على الرغم من اعتدال منهجه، إلا أننا نجده في مواضع يخلط في موضوع الوحي ومصدره، وقد تحدث عن القرآن بأخطاء علمية؛ إذ يقول : "القرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ودستورهم ...وأسلوب هذا الكتاب وإن كان جديراً بالذكر أحيانا خالٍ من الترتيب فاقد السياق كثيرا ..."؛ هذه

زبدة متضاربة حول القرآن وردت على لسان (**غوستاف**)، فهي تمدح وتقدح، ونوجز فيما يلي لموقفه من القرآن متعقبين ذلك بالرد والتفنيد :

أولا : مقولات إنصافية للقرآن ومضامينه في منطق لوبون : [صلاحية القرآن لكل زمان] – [يُقرُّ بتفرد الإسلام بتوحيد الله؛ بقوله : "الإسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الأصول، ولا سيما في التوحيد المطلق] – [دحضه لشبهة انتشار القرآن بالسيف؛ مبررًا ذلك بقوله : "إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم..."] – [دفاعه عن مكانة المرأة وحقوقها في القرآن، ويتجلّى ذلك في كلامه عن : ميراث المرأة، وتعدد الزوجات، والطلاق] – [دفاعه وإكباره لعظمة الأخلاق في القرآن؛حيث يقول : "إن أصول الأخلاق في القرآن عالية..."].

ثانيا : تطواف حول سقوط (لوبون) في هاوية الطعن في القرآن : من ذلك :

١. **زعمه بأن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل؛ إذْ يقول** : "وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عدّ الإسلام صورة مختصرة عن النصرانية"، وقال : "وما جاء في القرآن من خلق السماوات والأرض وخلق آدم والجنة وهبوط آدم منها.. مقتبس من التوراة"، **ودحض هذه الفرية** : يقول الدكتور العاني ردًا على هذا الزعم : "القرآن الكريم تحدى العرب والعجم والإنس والجن أن يأتوا بمثله سورا أو آيات، وقد احتوى من المعارف والأنظمة وقصص الغيب ما لا نجده في الكتب التي سبقته"، ويقول : "القرآن الكريم والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى كانت وحيا من الله ،وتتفق الكتب السماوية في الأصول العامة فهي تؤمن بالله وبالنبوة وباليوم الآخر ...".

٢. **زعمه لشبهة اتهام النبي ﷺ بالهوس وإنكاره الوحي** : **حيث** يقول : "ويجب عدُّ محمدٍ ﷺ من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات"، **ودحض ذلك الزعم** :يردُّ هذا الزعم النظر في سيرته ﷺ، فقد عاش طوال حياته في صحة نفسية، وعصبية، وعقلية جيدة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه، يقول عبد الكريم الخطيب : "أمجنون مصروع يبني دولة، وينشئ نظاماً، ويقيم ديناً؟!"، ويقول (**ديورانت**) : "ولكننا لا نسمع أنه عض في خلالها لسانه أو حدث ارتخاء في عضلاته كما يحدث عادة في نوبات الصرع ..."

٣. **إشكاله حول كون القرآن كتب تبعاً لمقتضيات الزمن** : يقول الدكتور العاني : "نزل القرآن مفرقا على النبي ﷺ في بضع وعشرين سنة، وفق الحوادث والأسئلة التي ترد، وقد ينزل القرآن في غير ذلك مراعيا إصلاح النفس الإنسانية وفق منهج رباني خاص، وإن وراء نزول القرآن مفرقا حكما وأسرارا منها ما ذكر في القرآن في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، وقال : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾؛ وتدل هذه الآية على حكمة التدرج في قراءة القرآن الكريم حيث أخذ النفوس بما يلائمها ولا يخرج عن طاقتها المحدودة من باب التدرج في التشريع، إذ بهذا أقلعت النفوس عن كثير من المساوئ الاجتماعية .. ومنه التدرج في تحريم الخمر".

موقف المستشرق جولدتسيهر من القرآن الكريم.

يعد المستشرق اليهودي المجري (**جولدتسيهر**) عمدة المستشرقين اليهود في التاريخ الحديث، فهو المسؤول عن إحياء الاهتمام اليهودي بالدراسات الإسلامية، ويحمل بين جنبيه تكذيبًا للإسلام، وقد تأثر بالمدرسة الألمانية في الدراسات القرآنية، وقام بإثارة شبهات كثيرة حول هذا المنهج الرباني، **وفيما يلي نبين موقفه من القرآن** :

أولا : إنكاره للمصدر الإلهي للقرآن الكريم : فهو يرى أن النبي ﷺ اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها الأفكار، ثم انطلق يدعو إلى الله متأثرا بظروف الفقراء والقهر، ويشير (**جولدتسهير**) إلى عدم إمكان الوحي، وأن ما يقوله الأنبياء عن الوحي عبارة عن مسألة نفسية ترجع إلى تشبع المرء بحالة خاصة من فرط استغراقه فيها.

ثانيا : رؤيته في حديث القرآن عن اليوم الآخر : قرر أن ذلك كله مستقى من اليهودية والنصرانية، يقول : "إن ما يبشر به محمد ﷺ والمتعلق بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة من مواد استقاها من تاريخ العهد القديم".

ثالثا : موقفه من القراءات القرآنية : حيث زعم استحالة وجود نص مقدّس مجمع على الاعتراف به، وبرهن لذلك بقضية نزول القرآن على سبعة أحرف؛ فهو يزعم أن اختلاف الأحرف السبعة يرجع إلى الحرية المطردة.

رابعا : شبهته حول المكي والمدني من القرآن : تعرض في سياق حديثه عن القرآن إلى التمييز بين المكي والمدني مستندا في ذلك إلى البحث النقدي والبلاغي للقرآن، والادعاءات التالية : [هناك قرآنيين مختلفين : مكي ومدني] – [أن التشريع الإسلامي كان مفقودا في مكة] – [أن الدعوة المحمدية هي إرث روحي وأخلاقي لليهودية].

تفنيد مزاعم جولدتسيهر حول القرآن.

أولا : الرد على إنكاره للمصدر الإلهي للقرآن الكريم وما يتعلق باليوم الآخر : نرد على (**جولدتسيهر**) بما طرحناه على (**غوستاف لوبون**) فالشبهة واحدة وإن تغيرت صياغتها، وبقول الله تعالى ردا على ادعاءات المشركين بأن محمدا يفتري على الله الكذب : ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ..**﴾، ويقول الشيخ محمد الغزالي : "نحن نسخر من هذا المستشرق، فهذا القول في نظرنا – يشبه اتهام أحمد شوقي بأنه سرق معانيه من بيرم التونسي، إن أمراء الشعر لا يسرقون من الزجالين".

ثانيا : الرد على شبهة جولدتسيهر حول القراءات : إن القراءات المتواترة مقطوع بصحتها من مصدرها الأصلي رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى؛ وشبهة جولدتسيهر مدحوضة للأسباب التالية :

١) وضح العلماء فوائد تعدد القراءات من حيث التوسع في اللغة والإثراء في المعنى والتشريع، وكل ما يجب في القراءات هو التثبت من صحتها وتواترها كشرط في قبولها .

٢) أن القراءات السبع ثابتة بالتواتر عن النبي ﷺ وقد ساعد على احتمال هذه القراءات الضرورية انعدام الشكل والنقط في مصحف عثمان؛ كاختلاف القراءة في مثل قوله تعالى : ﴿**فَتَبَيَّنُوا**﴾، وقرئ فتثبتوا ومعناها واحد.

٣) أن اختلاف القراءات لا يبلغ بحال مبلغ التضاد أو التناقض؛ وقد حصرها ابن الجزري : [اختلاف اللفظ والمعنى واحد – اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما – اختلافهما جميعًا مع امتناع جواز اجتماعهما إلا من وجه].

٤) أن زعم جولدتسيهر اضطراب القرآن واختلافه زعم قديم ؛ عبَّر عنه ابن قتيبة في قوله : "وكان مما بلغنا عنهم أنهم يحتجون بقوله ﷻ : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ وبقوله : ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾؛ قالوا : وجدنا الصحابة ﷺ ومن بعدهم يختلفون في الحرف...والقراء يختلفون؛ فهذا يرفع ما ينصبه ذاك، وذاك يخفض..، وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأي شيء بعد هذا الاختلاف تريدون، وأي باطل بعد هذا الخطأ واللحن تبتغون؟!، **وظاهر مما تقدم أن هذه الشبهة ذات شقين** : [**الأول** : يعتبر اختلاف القراءات اضطراب في نص القرآن] - [**الثاني** : يرى اختلاف القراءات يخالف ما أخبر الله به].

وفي الرد على الشق الأول من هذه الشبهة، نقول : إن معنى الاضطراب في النص : هو وروده على صور مختلفة أو متضاربة، ثم إن قراءات القرآن المعتمدة، وإن اختلفت قراءةً، غير أنها مقطوع بثبوتها عن رسول الله ﷺ، كما أخبر ﷺ : {إنَّ القُرآنَ نَزلَ علَى سبعةِ أحرُفٍ} والإذن بقراءته حسب ما تيسر من ذلك، ما يُثبت مشروعيتها.

أما الرد على الشق الثاني من هذه الشبهة، فجوابه : هو خبرهُ ﷺ : {إنَّ القُرآنَ نَزلَ علَى سبعةِ أحرُفٍ}؛ ووجه دلالته : أن القرآن نزل على سبع لغات من لغات العرب، رحمة ورأفة بهم، **ثم إن الاختلاف نوعان** : اختلاف **تغاير وتنوع**، وهو جائز وواقع، واختلاف **تباين وتضاد** وهذا لا يجوز في القرآن بحال.

ثالثا : الرد على شبهته حول المكي والمدني من القرآن :

- ما نزل من الوحي في مكة يكمل ما نزل في المدينة؛ ففي الصافات وهي مكّية : ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾، وفي البقرة وهي مدنية : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، وفي يونس وهي مكّية : ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾، وفي آل عمران وهي مدنية : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾، فالذي أنزله واحد، والذي تلقاه واحد.
- أن زعمه بأن التشريع الإسلامي كان مفقودا في مكة باطل؛ لأن المعاني والأغراض متشابهة بين مكة والمدينة والتشريع في المدينة مكمل لما كان في مكة ..، مثل : ﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، ومثل : ﴿ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾، ومثل : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾؛ ثم تطورت الحرب ضد المشركين الأقوياء الذين صادروا أموال المسلمين وحرياتهم.
- أما زعمه بأن الدعوة المحمدية هي إرث روحي وأخلاقي لليهودية فهو مردود عليه ضمن الردود السابقة.

المستشرقون والسنة النبوية.

شبهتهم حول شخص صاحب السنة ﷺ : حيث زعموا انشغاله ﷺ بالنساء واتهموه بالشهوانية بتعدده لزوجاته من خلال أقواله في السنة؛ يقول (**غوستاف لوبون**) : "وضَعْفُ محمد ﷺ الوحيد هو حبه الطارئ للنساء ..فقد قال : حبب إليّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ".

زعم (**جولدتسيهر**)، و(**كولسون**) **بأن السنة مجموع عادات وآراء فقهية** : عرف (**جولدتسيهر**) السنة بقوله : "هي جوهر العادات وتفكير الأمة الإسلامية قديمًا وتعد شرحًا لألفاظ القرآن.."، ويقول (**كولسون**) : "إن السنة في القرن الثاني كانت تعني مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها.."، ويقول أيضا : "معظم الأقوال المأثورة هي موضوعة".

زعمهم أن الحديث من الأديان السابقة وأفكارها من اليهودية والنصرانية : يرى بعض المستشرقين أن العرب أخذوا فكرة الإسناد عن المدارس التلمودية عند اليهود، يقول (**بروكلمان**) : "وأغلب الظن أن محمدًا ﷺ اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى ..."، ويرى (**ريتشارد بل**) : أن النبي ﷺ قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس، وبخاصة على العهد القديم في قسم القصص ..."

تشكيكهم في رواة الحديث ورواياتهم : حيث وضعوا مجموعة الرواة الثقات موضع الشبهة والتشكيك؛ لتأثرهم بالأحوال السياسية أو الاقتصادية، وكان على رأسهم عَلَمان كبيران هما الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، والإمام الزُهْري – رحمه الله، وكان (**جولدتسيهر**) من أوائل من افترى عليهما، معتمدًا على الخلافات التي نشبت بين المسلمين بعد الخلافة الراشدة، والفتن التي مزقت الصف الإسلامي، وذلك بالطعن في رجال سنده، ومن الشبهات التي أثارها حول الإمام الزهري : **قوله** : "ولم يكن الأمويون وأتباعهم ليهمهم الكذب في الحديث ..."، ويقول : "إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ...، فوجد الزهري مستعدًا لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع : { **لا تشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ..** }، وحديث : [الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه]، والدليل : أن الزهري صديقٌ لعبد الملك".

زعمهم التعارض في الأحاديث : يقول (**جولدتسيهر**) : "لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي".

تفنيد مزاعم المستشرقين حول السنة.

الرد على شبهة تعدد النبي ﷺ لزوجاته واتهامه بالشهوانية :

أ- أن الله تعالى أباح لنبيه ﷺ الزواج بأكثر من واحدة.

ب- أن التعدد جائزٌ في جميع الشرائع السابقة، مما يكشف لنا حقد هؤلاء على نبينا محمد ﷺ، وقد ورد في أسفارهم ما يثبت ذلك ففي سفر الملوك عن سليمان "وكانت له سبع مئة من النساء السيدات و ثلاث مئة من السراري"، وقد أثارت هذه الشبهة دهشة المنصفين منهم يقول (**ول ديورانت**): "وتزوج النبي بعشر نساء وكانت له اثنتان من السراري، ولكن نسبة الوفيات العالية من الذكور بين الساميين جعلت تعدد الزوجات ضرورة".

ج- **عُمُر نسائه ﷺ وأحوالهن يدحض الشهوانية المزعومة :**

- إن أكثر نسائه يكبرنه وهنَّ إما ثيبات أو أرامل إلا أم المؤمنين عائشة.
- أن زواجه بكل واحدة من نسائه كان لحكمة لا لشهوة أو هوى، فمثلاً تزوج ﷺ سودة وهي في الخامسة والخمسين؛ ليحفظها ويستر عليها ويحميها من قومها الذين أسلم عدد كبير منهم بعد هذا الزواج، وأما زواجه من جويرية؛ فقد كانت من سبايا بني المصطلق وأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، فكان سببًا في دخول بني المصطلق في الإسلام بعد معاداة طويلة على الإسلام، وهذا وحده كاف لمعرفة الحكمة من زواجه ﷺ.
- أن بيوت النبي ﷺ كانت بفضل زوجاته بمنزلة مدارس تخرج المؤمنات الداعيات لهذا الدين.
- أما بالنسبة للحديث الذي يذكره هؤلاء المستشرقين "حبب إليَّ من دنياكم ثلاث.." فالحديث فيه زيادة منكرة

وهي (من دنياكم ثلاث) ، قال (الذهبي) في الميزان : "وليس في شيء من كتب الحديث المعتمدة زيادة : [ثلاث]"، ولشذوذها معنىً، فإن الصلاة ليست من الدنيا بل هي من أمور الدين، وممن أنكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وقوله ﷺ (حُبب) بالمجهول ولم يقل أحب؛ لأنه لم يكن ليحبها ابتداء.

الرد على زعم (جولدتسيهر) و(كولسون) بأن السنة مجموع عادات وآراء فقهية :

أ- الأحاديث الشريفة نقلت إلينا حفظاً وكتابة من بداية العهد النبوي الذي هو بداية للتاريخ الإسلامي.

ب- المستشرقين كما قال الأعظمي لم يختاروا أمثلتهم الحديثية من مصادر الحديث بل من كتب السيرة والفقه، والفقهاء لم يكونوا مهتمين بالسند، فقد قاموا بدراسة كتاب الموطأ وكتاب الأم وهي كتب فقه لا حديث.

الرد على زعمهم بأن الحديث مزيج من عقائد الأديان السابقة : حيث زعموا التشابه بين السنة وبعض نصوص الكتاب المقدس، وأنَّ السنة مجموع إسرائيليات، وأن كلمتي "السنة" و"الحديث" معربتين عن لفظي "مشناة" و"هداش" العبريتين ، **ويتجلى الرد على هذا الزعم من خلال ما يلي :**

أولاً : نفي التشابه بين مضامين السنة ومضامين اليهودية والنصرانية : يقول الله ﷻ حكاية عنهم : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، وما ادعاه المغرضون من تشابه ظاهري بين حديث معاذ : {**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد...**} وبين الرب عندهم كتابهم المقدس – المحرّف – : "وراء الرب إلهكم تسيرون ..."؛ **نقول** : إن ما زعموه من وجود تشابه بين النصين يزول بمعرفة معنى الرب عند اليهود والنصارى وذلك من خلال ما يلي :

١. الرب عندهم : ذو صفات بشرية، أما في الإسلام : فهو الواحد الأحد، العدل العالم المحيط، المتصرف ...

٢. سخر الله للسنة من سهر على تنقيحها، أمثال : (**ابن الجوزي**) في (**الموضوعات**)، و(**السيوطي**) في (**الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**)، والتشابه إن وجد؛ فلأنها من مشكاة واحدة.

٣. معلوم أن البون شاسع بين الإسلام والديانات السابقة؛ فدِيْنُ محمدٍ ﷺ أوسع أقطارا مما سبقه، فكيف يتصور أن يأخذ الغني من الفقير، ثم إنَّ الملامح العلمية التي تفرد بها الإسلام، لا حصر لها في الكتاب والسنة.

٤. السنة شاملة صالحة لكل زمان، بخلاف ما خلفته اليهودية والنصرانية من تحريف، وقد شهد بذلك المستشرق (**آرنولد توينبي**) حيث يقول : "لقد كرّس محمد ﷺ حياته في كفالة مظهرين...الوحدانية والقانون".

ثانيًا : وحدة القيم الأخلاقية في الديانات السماوية : القيم الأخلاقية خالدة لا تتغير، عامة لا تختص بأمة دون أمة، وهذه الصفات هي المقصودة بالعرف في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾، فالعرف هنا ما كان عند العرب من عادات وصفات نبيلة كالكرم، والشجاعة وغيرها؛ وعليه فوجود تلك الصفات والقيم الأخلاقية في غير الإسلام، نابع من الفطرة السليمة، لذا نجد أن وجود الفضائل والقيم التي تدعو السنة إليها في غير الإسلام من ديانات، لا يلزم عنه أن تكون السنة مقتبسة من هذه الديانات، ولكن لأن السنة وحي من عند الله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

ثالثا: الفرق بين لفظي السنة والحديث العربيين وكلمتي المشناة وهداش العبريتين : إن معاجم اللغة العربية ترفض أن تكون كلمتي "السنة" و"الحديث" معربتين عن لفظي "مشناة" و"هداش" العبريتين، كما أنه لم يكن هناك اتصال بين العرب وأهل الكتاب يسمح بالتعريب عن لغتهم، وإضافة لما سبق فنحن نجد كلمتي (سنة) و (حديث) موجودتين في

أصول اللغة قرآنا وسنة وقبلهما في شعر العرب، والـ (**السنة**) في اللغة: الطريقة المتبعة، حسنة كانت أم قبيحة، ففي التنزيل : ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾، وفي الحديث : {لتتبعن سنن من كان قبلكم}،{عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين}،كما أنها قابلة للاشتقاق : سنَّ، يسنُّ، سنًا، وكلمة (**الحديث**) : موجودة في أصول اللغة، والحديث هو: كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع، أو الوحي في يقظة أو منام قال ﷻ : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾، وقال : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، وسمى الله تعالى كتابه حديثا، فقال : ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.

وأما زعمهم أن المسلمين أطلقوا كلمة (سنة) على الروايات المحمدية، كما أطلق اليهود (مشناة) على الروايات الإسرائيلية، نقول : السنة لم تأخذ حظها من التدوين إلا بعد المائة الأولى من الهجرة، ولكنهم استعملوا كلمة "سنة" في توضيح حياتهم السلوكية على نظام ما كان يسلكه رسول الله ﷺ ثم إن السنة النبوية كل قول، أو فعل، أو تقرير.

الرد على تشكيك جولدتسيهر في رواة الحديث (الإمام الزُّهري نموذجا) : من أجل أن تدحض فريتهم على عالم جليل مثل الإمام الزهري، الذي عاش مع الصحابة لا بد من توضيح بعض الأمور منها :

- ✓ الإمام الزهري هو الإمام محمد بن مسلم القرشي الزهري، اتصف بالحرص الشديد على تلقي العلم، كما اتصف بقوة الحفظ والذاكرة، ومعروف عنه المواقف الثابتة لمن خالف شيئًا من الدين.
- ✓ دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدًا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات. قال الزهري : باطل يا أمير المؤمنين، أنبيٌّ خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ فإن الله تعالى يقول لنبيه داود : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى...﴾؛ فهذا وعيد لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي ؟!
- ✓ كبار علماء الدولة العباسية أخذوا عن الزهري ، ولم يقدح فيه أحد، أمثال الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم، رغم أنه كان من رجال بني أمية، الذين لم يسلموا من مهاجمة العباسيين لهم في معظم أمورهم.
- ✓ أما منع عبد الملك بن مروان الناس الحج، وبناء قبة الصخرة ..؛ فإن هذا الكلام لا يستند إلى دليل علمي تاريخي، ومشبوه يراد منه التشكيك في التاريخ الإسلامي، **ويتضح الأمر من خلال الأمور التالية** :

أ- أجمع المؤرخون قاطبة أن الذي بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبد الملك وليس عبد الملك بن مروان.

ب- لو كان هذا صحيحًا، لما سكت علماء الأمة إلى يومنا هذا ، لأن هذا يعد كفرًا.

ج- يذكر المؤرخون أن الزهري لم يلتق بعبد الملك بن مروان في عهد ابن الزبير.

د- أما كلام (جولدتسيهر) أن حديث "لا تشد الرحال" لم يروه غير الزهري فهذا باطل لا أصل له.

الرد على زعمهم التعارض في الأحاديث : حيث زعموا أنه لا توجد مسألة سياسية إلا ولها اعتماد على الأحاديث ..؛ نقول : إن تعارض الأحاديث وقوة صحتها لا يعني أنها موضوعة أو غير صحيحة، لعدة أسباب :

أ- أن الفعل الذي يُروى مرتين ربما يكون لكل واحد منهما حالة خاصة، وهذا لا يعني أبدًا أن هناك تناقضًا في الأحاديث، مثل الحديثين : "الوضوء من مس الذكر" و"هل هو إلا بضعة منك".

ب- ومنها أن يفعل النبي ﷺ الفعل على وجهين إشارة إلى الجواز، فيروي صحابي ما شاهده في المرة الأولى، ويرويه آخر ما شاهده في المرة الثانية، مثل أحاديث الوتر أنها سبع أو تسع أو إحدى عشرة.

ج- اختلاف الصحابة في فهم مراد النبي ﷺ من الحديث، فبعضهم يفهمه بالوجوب والآخرون بالاستحباب.

د- اختلاف الصحابة في حكاية حال شاهدوها من رسول الله ﷺ مثل اختلافهم في حجه هل كان فيها قارنًا أو مفردًا أو متمتعًا؟ وكل ذلك حالات يجوز أن يفهمها؛ فكل يحكم بما يرى.

هـ- نسخ الحكم السابق بحكم لاحق وهذا كثير كما في بعض أحكام حَدِّ الزاني.

وإذا وجد تعارض : فهناك قواعد بيّنها أهل العلم عُرفت بـ (**مختلف الحديث**).

المستشرقون والدراسات الفقهية، (شاخت) نموذجا.

ولد (**جوزيف شاخت**) في مدينة راتيبور الألمانية، ودرس في مؤلفه (أصول الشريعة المحمدية) كتابي (الموطأ) لمالك و(الأم) للشافعي ثم عمم نتائج دراسته على كتب الحديث والفقه الأخرى.

مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث : وتتلخص فيما يلي :

أولا : قال بنظرية تطور الأسانيد أي : أن الأحاديث نسبت للنبي ﷺ تدريجياً ، وأن الأحاديث اختلقها الفقهاء، وأن الشافعي استحدث مبدأ حجية السنة، وطعنه في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير.

ثانيا : تبنى آراء (**جولدتسيهر**) و(**مارجوليوث**) حول مفهوم الحديث والسنة وتطورهما، إلا أنَّ (**شاخت**) زاد : بأن عادة العلماء قبل الشافعي نسبة الأحاديث إلى لصحابة والتابعين، ومن النادر نسبتها إلى النبي ﷺ، ومن كلامه : "إن الأحاديث ليست هي السنة بل هي تدوين السنة بالوثائق".

ثالثا : يزعم أن إسناد الحديث اعتباطي يقول :"إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي ...".

الرد على الطعن في الإسناد، ويأتي فيما يأتي :

أولا : اهتم علماء الحديث بالأسانيد انطلاقا من قول تعالى : ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾، وقال ابن عباس : "لما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"، ويقول ابن سيرين: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"، وعن عبد الله بن المبارك : "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".

ثانيا : كان الإسناد علم بذاته من علوم الحديث اعتنى به علماء الأمة عناية مميزة، وقد تفردت الأمة بهذا العلم، يقول شيخ الإسلام : "وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ".

ثالثا : فاقت جهود الصحابة والعلماء حدود الجهد؛ لعنايتهم بالحديث، فأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يسافر من المدينة إلى مصر؛ ليتأكد من صحة حديث لرسول ﷺ : {**من سَتَرَ مؤمنًا في الدنيا على خِزيةٍ سترهُ اللهُ يومَ القيامةِ**}.

رابعا : وضع العلماء للإسناد قواعد وأصول للوصول إلى الأحاديث الصحيحة، وعلى سبيل المثال :

- ✓ **صفة من تقبل روايته ومن ترد** : فقد اشترطوا للراوي العدالة والضبط، يقول ابن الصلاح :"أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يروي ..."
- ✓ **الجرح والتعديل** : والجرح : هو الطعن في راوي الحديث بما يسلب أو يخل بعدالته أو ضبطه. والتعديل :

عكسه، وهناك شروط وآداب للجارح والمعدل، وشروط لقبول الجرح والتعديل أو ردُّه ...

✓ **الثقات والضعفاء** : فمما أُلّف في الثقات : كتاب (**الثقات**) لابن حبان، و(**الثقات**) للعجلي، (**كتاب تذكرة الحفاظ**) للذهبي، وما أُلّف في الضعفاء : (**الكامل في الضعفاء**) لابن عَديّ (**ميزان الاعتدال**) للذهبي، و(**لسان الميزان**) لابن حجر، وغيرها كثير من الكتب التي تحدثت عن الثقات والضعفاء .

أما بالنسبة لطعن (**شاخت**) **في سند مالك عن نافع**: فهذا خطأ، فمالك كان صاحب حلقة المسجد في حياة نافع، وقد رد (**روبسون**) عليه في هذا السند في مقاله "**الإسناد في الحديث النبوي**".

المستشرقون والعلوم والصناعات والاكتشافات عند المسلمين.

انقسم المستشرقون حول الاعتراف بفضل العرب على الغرب في العلوم والصناعات والاكتشافات إلى فريقين :

الأول : المغرضون الحاقدون (وهم كثر) : وهذا الفريق أعماه التعصب والحقد، بل منهم من استعمل الألفاظ المتسلطة في وصف الإنتاج العلمي العربي والعلماء، فرماهم بالبربرية والجهالة، ومنهم من تجاهل إطلاقاً هذه الحقبة.

الفريق الثاني : المنصفون (وهم قليل) : فقد اعترفوا بفضل العلماء العرب في حفظ التراث العلمي من الضياع، فنقلوا العلم الإغريقي والبطلمي إلى العربية ، بعد أن فهموه وحذقوه، ثم أضافوا إليه وزادوا عليه، **وكان من هذه القلة** : المستشرقة (**سيجريد هونكه**) مؤلفة كتاب (**شمس العرب تسطع على الغرب**) حيث تقول : "شاء الله أن يظهر من الأوربيين من ينادي بالحقيقة، في أن العرب حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة ..."، وتقول : " إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية ..."، وتقول : "يجب أن يعلم الأوربيون، أن العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل ، وأن هذه النهضة فاقت كثيراً ما تركه اليونان أو الرومان ولا يقدرون هذا..."، ومن المنصفين كذلك : المستشرق (**ول ديورانت**) صاحب كتاب (**قصة الحضارة**)، يقول : "وقد تأثر الصليبيون بروعة الزجاج المنقوش في بلاد الإسلام ..."،كما يقول أيضا : "وقد أخذ الأوربيون أيضاً فكرة صناعة الطواحين المائية...".

نماذج معينة من العلماء، وبيان وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا :

أولا : نماذج من العلماء المسلمين لهم فضل على أوروبا (في عيون المستشرقين المنصفين) :

١. **ابن سينا** : طبيب من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة، اعتبره (**دانتي**) في مصاف أبقراط وجالينوس في الطب.

٢. **ابن الهيثم** : يقول (**جورج سارتون**) إنه أكبر عالم طبيعة، ولقد كان أساس الأخلاق عنده إيثار الحق لا الهوى.

٣. **أبو الريحان البيروني** : أفغاني، اعتبر من واضعي علم حساب المثلثات، وفيلسوفا وعالما في الفيزياء والرياضيات.

٤. **ابن رشد** : فيقول عنه (**رام لاندو**) : "أن فلاسفة الغرب لا يمكن أن يصلوا إلى مستواهم الذي نراه اليوم، لو لم يحصلوا على نتائج بحوث ابن رشد في الفلسفة".

ثانيا : وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا وإسهامات المستشرقين فيها :

١. **البعثات الأوربية** : فمثلا اعتمدت جميع مراكز التعليم في أوربا على قرطبة واشبيلية.. فكان الطلاب يشدون الرحال إليها ويقضون السنوات في الدراسة والتتبع، والاطلاع على مؤلفات العرب، وكان من هؤلاء المستشرق

(**جربرت دي اورياك**) فدرس على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء، وحينما عاد إلى وطنه خُيّل لعامة فرنسا إذ ذاك انه ساحر، وبلغت البعثات في عهد الخليفة الناصر زهاء سبعمائة طالب وطالبة، ولقد قام بعض ملوك أوربا باستقدام علماء الأندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم والعمران.

٢. **المستعربون** :كانوا أداة اتصال بين شطري اسبانيا، وهم منذ الفتح العربي الإسلامي لم ينقطعوا عن الهجرة.

٣. **التجار وعلاقاتهم** : فالمسلمين ظلوا قروناً يتاجرون مع بلدان الأوربية، ولقد دلت التنقيبات على وجود عملات إسلامية في أوربا الشمالية، كما لا ننسى الرحالة المسلمون، كرحلة ابن فضلان وأبو عبيد البكري.

٤. **التقارب السياسي والعلاقات الدبلوماسية** : حرصت الدولة الرومانية على العلاقات الدبلوماسية مع الدولة الإسلامية في الأندلس، فقد وصلت إليها سفارة الإمبراطور الألماني (**أوتو**)، برئاسة الراهب (**جان دي جورز**).

٥. **حركة الترجمة** : وتعد قناة غير مباشرة، ولكنها أثرت تأثيراً كبيراً، وقد مرت حركة الترجمة بدورين، **الدور الأول** : والتي تمت فيه ترجمة الكثير من المخطوطات إلى العربية بما في ذلك كتاب في علم الزراعة ،كتبه (**كولوميلا**) وكتاب تاريخ عامٍّ ألفه (**اوروسيوس**)، وكتاب يبحث في التنجيم، وآخر في الاشتقاق لمؤلفه (**ايزدور**)، **أما الدور الثاني** : فيشمل الترجمة من العربية إلى اللاتينية، ويبدأ من منتصف القرن الخامس إلى السابع وقد مر بمرحلتين الأولى تمت فيها ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية، والمرحلة الثانية ترجمة العلوم العربية الإسلامية.

أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه

لا تنسوني من صالح دعواتكم

وتقبلوا أجمل التحايا

أبو عبد المحسن

١٤٣٧هـ